مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية . المجلد 14 العدد 2 جويلية 2023/ - محرم 1445ه
ص ص: 163 – 185

❁ محمد بن عبد الكريم المغيلي وفكره الدّعوي والإصلاحي في الجزائر وصحراء إفريقيا

Mohammad Ibn Abdul-Kareem Al-Maghily and his advocacy and reformist thought in Algeria and the Sahara of Africa

✍ مريم علاش *
جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة، كليّة العلوم الإسلاميّة – خروبة (الجزائر)
m.alache@univ-alger.dz

تاريخ الإرسال: 2023/01/10 تاريخ القبول: 2023/05/30 تاريخ النشر: 2023/07/30

ملخص:

تهدف هذه الدّراسة إلى تسليط الضّوء على فكر المغيلي في جوانبه الإصلاحيّة والدّعويّة وذلك باستنطاق تراثه الفكري ومواقفه التّاريخيّة وأثرها على النّخبة العلميّة والمجتمع والسّياسة بمنطقة الجزائر وصحراء إفريقيا، للإجابة عن سؤال: ماهي درجات حضور فكر المغيلي وتأثيره المعرفي في الجزائر وإفريقيا؟ فقد لعب المغيلي دورا رياديا في نشر الإسلام بالسّودان الغربي وفي التّدريس والتّربية والسّلوك والإصلاح بمستوياته في الجزائر وصحراء إفريقيا.

الكلمات المفتاحية: المغيلي؛ الجزائر؛ صحراء إفريقيا؛ الدّعوة؛ الإصلاح.

Abstract:

This study aims to highlight the Al-Maghily's thinking in its reform and advocacy aspects by exploring his intellectual heritage and historical attitudes and their impact on the scientific elite, society and politicsin Algeria and the Sahara of Africa. Al-Maghily played a leading role in the dissemination of Islam in the western Sudan and in teaching, education, behavior and reform at its levels in Algeria and the Africa.

Keywords: Al-Maghily; Algeria; the Sahara of Africa; advocacy; reform.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

قال بعض الرّحالة واصفا الجزائر: "إنّها تنبت العلماء والصّالحين كما تنبت السّماء البقل"[1]، فقد أنجبت الجزائر أسماء علماء عديدة سطع نجمها في سماء المعرفة الإنسانيّة قديما وحديثا والذّين أبدعوا بالأخصّ في ميادين العلوم الإسلاميّة بشتّى تخصّصاتها.

ولعبت الجزائر دورا بارزا في الحياة الدّينيّة بصحراء إفريقيا وبالأخصّ خلال القرن التّاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، وذلك بفعل الاتّصال الجغرافي بينها وبين حواضرها وعلى رأسها إقليم توات الذّي تحوّل إلى مركز لنشر الإسلام في المنطقة، بفضل الجهود الدّعوية والإصلاحيّة لعلمائها مع دورهم الرّيادي في الحياة الفكريّة والسّياسية داخل الجزائر نفسها، وفي مقدّمة علماء الجزائر المؤثّرين بالمنطقة خلال هذه المرحلة التّاريخية عالم توات ومصلحها الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الذّي كانت له جهود دعويّة وإصلاحية داخل الجزائر وخارجها، كما عُرف واشتهر بمواقفه الصّارمة التّي تترجم فكره الثّوري ورؤيته النّضالية لأجل إعلاء كلمة الإسلام وتطبيق أحكامه وتعاليمه على المستوى الفردي والمجتمعي والسّياسي.

فقد شكّل حضوره الفكري بالجزائر وصحراء إفريقيا محطّة مهمّة في تاريخ الحركة العلميّة بالمنطقة، ولهذا جاءت هذه الدّراسة مهتمّة بفكره الإصلاحي والدّعوي بغية الإجابة عن سؤال: ما هي معالم فكر المغيلي الإصلاحيّة والدّعوية؟ وما هي درجات حضوره وتأثيره المعرفي في الجزائر وإفريقيا؟

وانتظمت هذه الدّراسة بعد هذه المقدّمة في مبحثين، عرضت في الأوّل منهما تعريف الإمام المغيلي وجهوده وآثاره ومنزلته، وتطرّقت في المبحث الثّاني إلى فكر المغيلي الدّعوي والإصلاحي في كل من الجزائر وصحراء إفريقيا أو السّودان الغربي على وجه الخصوص، وأتيت في الأخير بخاتمة جمعت فيها خلاصة ما توصّلت إليه في البحث من نتائج وتوصيات.

[1] ممّن يُروى عنه ذلك أبو زيد عبد الرّحمن بن محمد الجامعي الفاسي (كان حيا سنة 1132هـ) في رحلته.

2.ترجمة محمد بن عبد الكريم المغيلي:

2-1 تعريف محمد بن عبد الكريم المغيلي وجهوده:

أ_ اسمه ونسبه: هو محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التّلمساني المكنّى بأبي عبد الله[2]، والمغيلي (بفتح الميم) هي نسبة إلى مغيلة قبيلة من البربر[3] من بني فاتن من ضريسة إحدى بطون البرابرة البتر[4] كانت تقطن في الجزائر بالشّاطئ الأيمن من شلف عند مصبّه في البحر ومن ساحلهم اجتاز عبد الرحمن الدّاخل إلى الأندلس وبذر بذور حضارة كانت من بعد المثل الأعلى[5]، فاستوطنت مغيلة تلمسان بالمغرب الأوسط والمغرب الأقصى[6]، وكانت أسرة المغيلي التّي ينتسب إليها محمد بن عبد الكريم المغيلي مشهورة بالعلم والدّين والشّجاعة في الحروب.

ب_ مولده ونشأته: ولد عبد الكريم المغيلي بمدينة مغيلة التّابعة لولاية تيارت حاليا، وتضاربت النّقول في تاريخ ولادته ولكن بعض الباحثين رجّحوا أنّه ولد سنة 831هـ الموافق لسنة 1427م[7]، وذلك لأنّ باقي التواريخ المحتملة لميلاده مثل سنة 740هـ و820هـ لا تتوافق مع أحداث حياة المغيلي وتحرّكاته والتّحولات الكبرى في مسيرته الدّعوية.

نشأ المغيلي بمدينة تلمسان أيّام حكم الزّيانيّين لها إبّان القرن التّاسع الهجري الخامس عشر ميلادي، فطلب العلم في بداية طريقه بها وتتلمذ على يدي علمائها وصلحائها ومنهم السّيد محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي (ت875هـ) الشهير بالجلاب التلمساني الفقيه العالم العلامة أحد شيوخ الونشريسي والإمام السنوسي، الحافظ لمسائل الفقه وكان يُدرّس المدونة وله فتاوى في المازونية والمعيار ووصفه المازوني بصاحبنا الفقيه، وقال الونشريسي في وفياته:

---

[2] يُنظر: نيل الابتهاج، التنبكتي، ص576؛ وشجرة النّور الزّكية، محمد مخلوف، 395/1؛ ودوحة النّاشر، الشفشاوني، ص130؛ والبستان، ابن مريم، ص253.

[3] معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص308.

[4] تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج6 ص155.

[5] تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك الميلي، 106/1.

[6] تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، 164/6، 165

[7] الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مبروك مقدّم، ص27.

شيخنا الفقيه المحصل الحافظ[8] فحفظ محمد بن عبد الكريم القرآن على يده وأخذ عنه أمّهات كتب الفقه المالكي مثل الرّسالة ومختصر خليل وابن الحاجب وبعض كتب ابن يونس[9]، فحصّل بذلك فقه مالك بن أنس. وأخذ علوم العربيّة عن الفقيه أبي زكريا يحيى بن بدير بن عتيق التّدلسي(ت877هـ) وهو من كبار فقهاء المالكيّة في زمانه درس بتلمسان على يد الشيخ ابن زاغو(ت845هـ) ثمّ هاجر إلى توات عام 845هـ فكان قاضيها[10]، وأخذ المغيلي الحديث عن الإمام سعيد المقري وتربّى على يد أبي العبّاس الوغليسي[11]، كما تتلمذ للشيخ محمد بن يوسف السّنوسي (ت898هـ)[12] وغيرهم من علماء تلمسان.

رحل المغيلي بعدها إلى مدينة بجاية التّي كانت حينها مدينة العلم والعلماء، فانتفع مما كان يدرّس من علوم الدّين في مجالسها وحلقها، ولم يقم بها طويلا حيث انتقل منها إلى الجزائر فالتحق بالإمام عبد الرحمن بن مخلوف الثّعالبي (ت875هـ) الفقيه المفسّر الصّالح الوليّ العالم، وأخذ عنه المغيلي شيئا كثيرا خاصّة التّربية والسّلوك[13]، وبمصاهرته للشّيخ الثّعالبي بزواجه من ابنته سنة 875هـ زادت أواصر المودّة والقرابة بينهما[14].

وهذا التّنقل والتّرحال لطلب العلم يترجم شخصيّة المغيلي التّواقة لتحصيل شتّى أنواع المعارف والعلوم حتّى أصبح فقيها مالكيا مفسّرا متكلّما أشعريا، وعايش المغيلي فترة الضّعف من تاريخ دويلات المغرب الإسلامي في القرن التّاسع الهجري وأبدى قلقه على الأمّة الإسلامية، حيث سقطت في عهده غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس على يد الإسبان سنة 897هـ/1492م،

---

[8] نيل الابتهاج، التنبكتي، ص552.

[9] الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مبروك مقدّم، ص27.

[10] نيل الابتهاج، التنبكتي، ص578.

[11] الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مبروك مقدّم، ص27. ولم يذكره غيره ممّن ترجم للمغيلي.

[12] شجرة النور، الزّكيةمحمد مخلوف، 395/1.

[13] نيل الابتهاج، التنبكتي، ص578؛ شجرة النّور الزّكية، محمد مخلوف، ص395؛

[14] الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مبروك مقدّم، ص27.

فرحل المغيلي في هذه الظّروف إلى واحات توات[15] الواقعة بالجنوب الغربي للجزائر[16]، وجرت له بها أحداث مع الشّيخ عبد الله العصنوني (ت927هـ) حول مسائل فقهيّة متعلّقة في أصلها باليهود، ولما اختلف الفقهاء عليه انتقل المغيلي إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى لشرح قضيّته ولأجل المناظرة بحضرة السّلطان الشّيخ بن أبي زكرياء الوطّاسي ثمّ المريني (ت910هـ) فلم بها يجد آذانا صاغية بل مشى فقهاء فاس في تحريض السّلطان عليه، واتّهموه في نيّته من الخوض في نازلة اليهود حينها وأنّ مراده الظّهور والملك، فخرج المغيلي من فاس وهاجر إلى الصّحراء واستقرّ ببلاد توات ونشر العلم هناك[17].

وتناهت إلى المغيلي من التّجار وطلبة العلم بشمال وشرق ووسط إفريقيا أخبار المسلمين في جنوب الصّحراء[18]، فزار بلاد السّودان الغربي[19]، وارتحل المغيلي بعدها لأداء فريضة الحجّ.

---

[15] هناك اختلاف كبير حول أصل تسمية توات منها أنّه اسم لإحدى طوائف الطّوارق أو هو اسم لمرض أصاب سلطان مالي في رجله بتلك المنطقة فسمي الموضع باسمه، ومن قال أنّ أصله أعجمي أطلقته قبائل لمتونة على تلك الأقاليم أو أنه جاء من الأتوات التّي كان يفرضها السّلطان... وغيرها من الاحتمالات والرّوايات المختلفة، والأرجح أنّ اسم توات بربري خاصّة وأنّ القصور التّواتية أغلب أسمائها بربريّة مثل، تمنطيط وأغرملال وأدمر... وغيرها فإذا كانت فروعها بربريّة فالأولى أن يكون الأصل بربريا خاصّة مع الرّطانة الموجودة في اللّهجة التّواتية التّي تدلّ على بربريتها: يُنظر التّاريخ الثّقافي لإقليم توات من ق11 إلى ق14هـ، الصّديق حاج أحمد، ص29.

[16] يحدّ إقليم توات من الشّمال العرق الغربي الكبير وواد مقيدن، ويحدّه من الجنوب صحراء تنزروفت وواد قاريت وجبال مويدرا، كما يحدّه من الشرق العرق الشّرقي الكبير المحاذي لواد المايه، ويحدّه من الغرب واد السّاورة وروافده: يُنظر إقليم توات خلال القرنين 18، 19م، فرج محمود فرج، ص3.

[17] دوحة النّاشر، الشفشاوني، ص131.

[18] الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مبروك مقدّم، ص28.

[19] يطلق العرب اسم السّودان على الأقوام المتمركزين جنوب الصّحراء الكبرى وأصل هذه التّسمية هو لون بشرتهم (السّواد) التّي يمتازون بها، ومنه سمّوا الرّقعة الجغرافية التّي يسكنها هؤلاء الأقوام ببلاد السّودان، كما يطلقون عليها أيضا بلاد التّكرور، وتنقسم السّودان إلى ثلاثة مناطق: السّودان الشّرقي الذّي يشمل النّيل وروافده جنوب بلاد النّوبة، والسّودان الأوسط ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد، والسّودان الغربي الذّي يشمل حوض السّنغال وغامبيا وفولتا العليا والنّيجر الأوسط فيمتدّ من سواحل الأطلس غربا إلى الحدود الشّرقية لنيجيريا شرقا ومن أطراف الصّحراء الكبرى شمالا إلى خطّ عرض 16 درجة شمال خطّ الاستواء جنوبا، وهو موطن الجماعات الزّنجية النّقية: يُنظر حركة الحاج عمر الفوتي في السّودان الغربي خلال القرن التّاسع عشر، حسين حاجو، ص11، 12.

وعند وقوفه أمام الرّوضة النّبويّة الشّريفة ارتجل قصيدة مدح فيها الرّسول ﷺ تضمّ ستّة وعشرين بيتا، ومما قاله فيها[20]:

بشراك يا قلب هذا سيّد الأمم وهذه حضرة المختار في الحرم

وهـذه الرّوضـة الغرّاء طـاهـرة وهـذه القبّة الخضراء كالـعلـم

ورُوي له من عجائب الكرامات في هذا المقام أنّه لما «قام عند الرّوضة ليدخلها همّ الوكلاء بها بمنعه فقال:

يا سيّدي يا رسول الله خذ بيدي فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم

فاهتزّت عند ذاك الرّوضة الشّريفة وانفتح بابها، وفرّ الوكلاء لعظم ما رأوا فمكث فيها ساعة فأقبل النّاس عليه وهو يقول لهم: لست هنالك فلا تشغلوني عمّا أنا بصدده فمن كان منكم يريد البركة فعليه بالرّوضة الشّريفة فإنّها عين الرّحمة ومنبع الحكمة وأصل الهداية»[21]، وهذه الرّواية الثّرية بالمعالم الصّوفية تحمل دلالة واضحة على الجانب السّلوكي الذّي لم تفصّل في بيانه أكثر المصادر التّي ترجمت للمغيلي، وهو غني بالمصطلحات الصّوفية المجلية لمشربه الصّوفي بدءا من راوي الأحداث[22] على لسان جدّه المنتميان إلى الطّريقة القادريّة، وعبارات "خذ بيدي" توسّل صريح بالنّبي "عين الرّحمة" ﷺ.

ثمّ عاد المغيلي إلى أرض السّودان وهو هناك بلغه أنّ اليهود قد قتلوا ابنه[23]، فعاد إلى توات حيث أدركته المنيّة بها.

---

[20] الإعلام، السّملالي، 110/5، 111.

[21] المصدر نفسه، 110/5.

[22] هو المختار الكنتي يروي شهاده جدّه سيدي عمر الملقّب بالشّيخ الكنتي لما توجّه مع المغيلي إلى الحجّ.

[23] نيل الابتهاج، لتنبكتي، ص577؛ والبستان، ابن مريم، ص255.

ج_ جهوده العلميّة والتّربويّة:

تبيّن سيرة المغيلي أنّه بذل جهودا إصلاحيّة جبّارة في نشر الإسلام بصحراء إفريقيا بين المناطق الوثنية، وذلك بفضل سياسته الإصلاحيّة وتقربه من السّلاطين ممّا مكّن لدعوته بالمنطقة، فلعب دورا فعّالا في تصحيح الأفكار والمعتقدات وتهذيب المجتمع، وتنظيم الحكم وشؤون الإمارة[24].

وفتح المغيلي معركة نضاليّة على اليهود في منطقة توات فوقف ضدّهم وحشد الجموع في صفه وحمل لواء قتالهم لما رآه من استقواء شوكتهم مما يتنافى مع ذلّة وصغار أهل الذّمة[25]، ولم يثنه عن معركته تلك أو ينقص من عزيمته مقتل ابنه على يد اليهود كما سبق ذكره، فهذه المواقف تترجم قوّة المغيلي وجرأته في الحق كما شهد له معاصروه ومن ترجموا له.

ولم يشغله جهاده العملي عن جهاد العلم والقلم فجلس لتدريس طلبة العلم وللإرشاد والتربية على طريق التّصوف والسّلوك، وقام ببثّ تعاليم الطّريقة الصّوفية التّي اعتنق مبادئها ولبس خرقتها، فعند انتقاله من تلمسان إلى توات جلس هناك للتّدريس وبنى زاويته القادرية وعمل على نشر العلم والدّعوة في سبيل الله،وكان هو أوّل من نشر الطّريقة الصّوفيّة القادريّة بالسّودان الغربي[26].

فقد ساهم المغيلي في تنشيط الحياة العلميّة وتفعيل الحركيّة الفكريّة بسعيه إلى نشر العلم بشتّى فروعه من علوم نقليّة أو عقليّة سواء بالجزائر أم بمناطق صحراء إفريقيا التّي نزل أو استقرّ بها، بما طرقه من مسائل فقهيّة عقديّة وحتّى منطقيّة حرّكت السّاحة الفكريّة ليُدلي العلماء برؤاهم ويقدّموا فتاواهم في هذه المسائل، فترك من خلفه إشعاعا دينيا ونشاطا فكريا كان له دور فاعل في الحياة الدّينيّة والعلميّة.

---

[24] نيل الابتهاج، التنبكتي، ص577.

[25] دوحة النّاشر، الشفشاوني، ص130.

[26] الإسلام في نيجيريا والشّيخ عثمان بن فوديو الفلاني، آدم عبد الله الآلوري، ص63.

د_ وفاته: ذكرت أكثر المصادر التّي ترجمت للمغيلي بأنّه توفي رحمه الله بتوات سنة تسع وتسعمائة (909هـ/1503م)[27]، باستثناء صاحب درّة الحجال الذّي ذكر في ترجمة مقتضبة جدا للمغيلي بأنه توفي سنة 820هـ[28]، والتحقيق في تاريخ وفاته أميل إلى ما ذكرته جملة المصادر.

2.2 آثار محمد بن عبد الكريم المغيلي ومنزلته:

أ_ آثاره:

مؤلّفاته: ترك المغيلي تراثا زاخرا من المؤلّفات في مختلف الفنون ومنها[29]:

_ في التّفسير: له "البدر المنير في علوم التّفسير"، وسورة الفاتحة في ورقة واحدة.

_ في الفقه: له "مغني اللّبيب" شرح فيه مختصر خليل ولم يكمله وله حاشية عليه عنونها بـ "إكليل المغني"، وشرح بيوع الآجال من ابن الحاجب، وشرح خطبة المختصر، و"سراج الأرواح".

_ في علم الحديث: له "مفتاح النّظر في علم الحديث" فيه أبحاث مع النّووي في تقريبه، وله (فهرست) ذكر فيها مروياته.

_ في المنطق: شرح الجمل، ومقدّمة في المنطق، ومنظومة عنوانها "منح الوّهاب" وثلاثة شروح عليها، وقد شرحها والد أحمد بابا التنبكتي.

_ في السّلوك: له "تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين".

_ في السّياسة الشّرعية: له "التّعريف فيما يجب على الملوك"، و"أحكام أهل الذّمة"، و"أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي".

---

[27] نيل الابتهاج، التنبكتي، ص577؛ شجرة النّور الزّكية، محمد مخلوف، 396/1.

[28] درّة الحجال، ابن القاضي المكناسي، 285/2.

[29] نيل الابتهاج، التنبكتي، ص577، 578؛ شجرة النّور الزّكية، محمد مخلوف، 395/1، 396؛ البستان، ابن مريم، ص255، 256؛ معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص308.

ـ وله "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" تأليف وُصف بالعجيب، وتأليف في المنهيات، وقصائد في مدح الرّسول ﷺ إحداها على وزن البردة ورويّها، وقصيدة أخرى في نزاع وقع بينه وبين السّيوطي (ت911هـ) في علم المنطق.

تلاميذه: أخذ عن المغيلي مجموعة من التلّاميذ الذّين برعوا وصاروا علماء زمانهم، منهم: محمد بن عبد الجبار الفجيجي[30] المتصوّف العالم بالحديث ورواياته والذّي التقى بالشيخ المغيلي في فاس حيث لازمه طوال وجوده بها، وأخذ عنه التّصوف وعلم الحديث والفقه والعقيدة والمنطق.

والفقيه الشهير بأيد أحمد[31] وهو محمد بن أحمد بن أبي محمد التاذخسي أو التّازخي توفي سنة 936هـ حضر دروس المغيلي بتكدة عند رحيله إليها[32]، والذّي أصبح شيخا فقيها محدثا رحالة شهيرا.

والشيخ عثمان بن محمد بن عمر بن فودى الفولاني السكطي والذّي ألّف كتابه "الفتح الرّباني في ذكر أخبار الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التّلمساني" وقد لازمه مدّة عشر سنوات كاملة.

والعاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي[33] درس ببداية حياته وتفقّه على يد الشيخ المغيلي وأخذ عنه علم التّوحيد والمنطق واللّغة العربيّة، كان حيا سنة 950هـ، وهو من أهل أكدس بلدة قريبة من بلاد السّودان عمرها صنهاجة[34]، وغيرهم كُثر.

---

[30] نيل الابتهاج، التنبكتي، ص578؛ شجرة النّور الزّكية، محمد مخلوف، 395/1.

[31] نيل الابتهاج، ص578.

[32] المصدر نفسه، ص587.

[33] المصدر نفسه، ص578.

[34] المصدر نفسه، ص353.

ب_ منزلته:

كان للمغيلي منزلة جليلة بين علماء عصره ومن بعدهم فحلّاه بعضهم بالشّيخ القطب الكامل[35]، ووصفته التّراجم بأنّه كان الصّدر الأوحد من أكابر العلماء وأفاضل الأتقياء وشديد الشّكيمة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر[36]، وبأنّه خاتمة الأئمّة المحقّقين والعلماء العاملين مع البراعة والتّفنن في العلوم والصّلاح والدّين المتين[37]، ووصفته المصادر بأنّه الإمام العلامة الفهّامة القدوة الصّالح السّني الحبر أحد الأذكياء ممّن له بسطة في الفهم والتّقدم متمكّن المحبّة في السّنة وبغض أعداء الدّين[38]، إذ كانت له مواقف عظيمة في الدّعوة والحميّة لأجل الدّين بالإضافة إلى ما وضعه من مؤلّفات جليلة في الفقه والعقيدة والسّياسة.

[35] الإعلام، السّملالي، 110/5.

[36] دوحة النّاشر، الشفشاوني، ص130.

[37] شجرة النّور الزّكية، محمد مخلوف، 395/1.

[38] نيل الابتهاج، التنبكتي، ص576؛ والبستان، ابن مريم، ص253.

3.الفكر الدّعوي والإصلاحي للمغيلي:

1.3فكر المغيلي الدّعوي والإصلاحي في الجزائر:

كان للمغيلي بالجزائر جهود جبّارة متنوّعة بين التّدريس والتّربية والتّزكية والإصلاح، ولكنّ أهم تلك الجهود التّي حفظت ذكر المغيلي وارتبطت باسمه ارتباطا تاريخيا وثيقا هو ما كان منه بتوات جنوب صحراء الجزائر، وذلك في رحلته التّي جاب بها أقطارا عدّة ونزل بمحطّات كثيرة استقرّ ببعضها ومرّ بأخرى مدّة يسيرة من الزّمن، فلما حلّ بتوات التّي كانت مركز إشعاع إسلامي ومستودع التّجارة الصّحراويّة ونقطة تجاريّة نشيطة لوصلها بين بلاد المغرب والسّودان، وجدها متنوّعة في عنصرها البشري تضمّ البربر والعرب والمرابطين والشّرفاء... بالإضافة إلى اليهود الذّين كانوا يشكّلون شريحة قليلة العدد مقارنة بغيرهم وكان وجودهم مرتبطا أساسا بالتجارة، حيث ترجع بداية ظهورهم إلى القرن 8 الهجري فاستقرّوا بتمنطيط وكان لهم فيها حيّ خاص بهم وتمكّنوا من السّيطرة على سوق تمنطيط، ومنهم من ادّعى الإسلام ولقّبوا بالمسلمانيين أو المهاجرين، فوثق بهم أهل توات وقرّبوهم من أهلهم وعيالهم حتّى قويت شوكتهم وأصبحوا من أكبر مموّلي توات وسيطروا على الحرف والتّجارة[39]، فاختلف المغيلي في شأنهم وحكمهم الشّرعي مع الشّيخ عبد الله العصنوني (ت927هـ) الذّي كان قاضي توات حينها، ويرجع اختلافهم في مجمله إلى مسائل فقهيّة من الأوجه الآتية[40]:

ـ هل يجوز بناء بيع وصوامع جديدة في أرض اختطّها الإمام المسلم.

ـ هل يجوز دفع الجزية لرؤساء القصور المسيطرين على نظم الحكم العشائري.

ـ هل يعتبر اليهود المقيمون بين جنبات المسلمين ذمّيين؟ وهل عليهم دفع الجزية ولمن تُدفع؟

---

[39] محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكريّة بتوات، أحمد الحمدي، ص28، 29.

[40] الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مبروك مقدّم، ص29.

وكان المغيلي يرى أنّ اليهود لا ذمّة لهم لانتقاضها لتعلّقهم بأرباب الشّوكة من المسلمين المنافي للذّل والصّغار المشروط في أداء الجزية وأنّ نقض بعضهم لازم لكلّهم[41]، وراسل علماء عصره بفاس وتونس وتلمسان[42] يستفتيهم في هذه القضيّة، وممّا جاء في رسالته: «ما تقولون وفّقكم الله في مسألة تمنطيط مدينة توات، أحيا المسلمون أرضها بإخراج مياهها، وغرس نخلها، وبناء قصورها مدّة، ثمّ قدم عليهم اليهود ونزلوا عليهم في المدينة المذكورة، وأحدثوا فيها كنيسة لإقامة دينهم وأقاموا على ذلك مدّة إلى الآن. فهل تُهدم تلك الكنيسة، وإن كانوا ملكوا أرضها قبل بنائها بشراء من المسلمين أو غيره؟ أو لا تهدم؟ أفتونا في ذلك بجواب صريح، ولكم الأجر فإنّ المسلمين في حيرة من هذه المسألة. فإن كان الحقّ هدمها هدموها بلا فتنة ولا اختلاف، وإن كان الحقّ إبقاءها أبقوها بلا فتنة»[43]، ولعل غايته من طلب الفتيا هذه أن يكوّن موقفا داعما ومؤكّدا لما ذهب إليه في شأنهم إذ كان قد حسم أمره فيهم وأنّه لا ذمة لهم، وانقسم العلماء بإزاء هذه القضيّة إلى قسمين[44]:

ـ قسم مؤيّد للمغيلي: كان ممّن وافقه في رأيه محمد بن عبد الجليل التنسي (ت899هـ) وكتب كتابة مطوّلة في صواب رأي المغيلي، وواقعه عليها محمد بن يوسف السّنوسي (ت895هـ)، ووافق المغيلي أبو مهدي عيسى بن أحمد الماواسي مفتي فاس (ت896هـ)، وأبو عبد الله محمد الرّصاع (ت894هـ) مفتي تونس.

ـ قسم معارض له: خالفه قاضي توات العصنوني (ت927هـ) والذّي أمر أهالي توات بعدم التّعرض لليهود أو هدم كنائسهم، وكذلك رأى فقيه تلمسان ابن زكري (ت909هـ) ومفتيها أبو زكريا يحيى بن أبي البركات الغماري (ت910هـ)، وعبد الرحمن بن سبع التّلمساني.

---

[41] دوحة النّاشر، الشفشاوني، ص130.

[42] نيل الابتهاج، التنبكتي، ص576.

[43] المعيار المعرب، الونشريسي، 235/2، 236.

[44] نيل الابتهاج، التنبكتي، ص576، 577؛ شجرة النّور الزّكية، محمد مخلوف، 396/1.

ومن العلماء من أنصف المغيلي ولكن تدارك عليه مثل شيخ الجماعة أبي عبد الله ابن غازي (ت910هـ) وكتب على ظهر كتاب المغيلي: "هذا كتاب جليل صدر عن نص عليل وعلم بالصّواب كفيل وصاحبه غريب في هذا الجيل، بيد أنّه أطلق الكفر على التّضليل"، ومراده بذلك أنّ المغيلي بنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ [المائدة:51] في حكم التّكفير وهو تضليل على رأي ابن غازي لأنّ الكفر ضدّ الإيمان وهو التّكذيب[45].

وكانت قضيّة اليهود هذه بالنّسبة للمغيلي ذات بعد ديني وصراع حضاري حيث يقول: «فالمغالبة بيننا وبينهم في الدّين...»[46] إذ هي حسبه مسألة مغالبة دينيّة، وقال أيضا: «كلّ العداوة قد ترجى مودّتها إلا عداوة من عاداك في الدّين، وقد علمنا طعن الكفّار علينا، وتقوّلهم في ديننا، لا سيما إخوان القردة، فإنّهم أشدّ النّاس عداوة لنا ولنبيّنا وسيّدنا ومولانا وشفيعنا محمد ﷺ، فما أقلّ همّة من لا ينفر منهم بطبعه وقلبه وجوارحه ولبّه، وما أخسّ وأخزى من يسمح لهم بقربه، لأنّ ما من أحد منهم ينظر إلينا إلا ولسان حاله ناطق ببغضنا وسبّنا والطّعن علينا في ديننا، حتّى أنّهم لعنهم الله حرموا على أنفسهم ذبائحنا وأطعمتنا... وأعظم من ذلك طعنهم في ديننا واستهزاؤهم بصلاتنا، وما يتعرّضون به لسيّدنا ومولانا محمد ﷺ حبيبنا وشفيعنا»[47]، فقد كان المغيلي مغيارا على جناب النّبي ﷺ ولهذا نظم في هذه القضيّة قصائد في مدح النّبي ﷺ وذم اليهود ومن ينصرهم[48].

فاضطلع المغيلي في حركة تعبويّة ألّب فيها الجموع المؤمنة بتوات واستنهض غيرتهم الدّينية للنّهوض معه وقتال هؤلاء اليهود الذّين تزايد نفوذهم السّياسي والاقتصاديّ بالمنطقة، إذ أنّ استفادتهم من الوساطة التّجاريّة بين أوروبا المسيحيّة والمغرب الإسلامي جعلهم ذا وزن

---

[45] دوحة النّاشر، الشفشاوني، ص130، 131.

[46] مصباح الأرواح في أصول الفلاح، المغيلي، ص37.

[47] مصباح الأرواح، المغيلي، ص30، 31.

[48] نيل الابتهاج، التنبكتي، ص577.

اقتصادي في المراكز الرّابطة بين المغرب الإسلامي والسّودان مثل توات[49]، وهو ما مكّن لهم من الوصول إلى مكانة سياسية مؤثّرة كما حدث في بلاط فاس حيث قام السّلطان عبد الحقّ المريني بتعيين يهوديّين في منصب سام فتسلّطوا على رقاب المسلمين[50]، ولولا ثورة المغيلي عليهم بمنطقة توات لربّما كان لهم شأن آخر في الجزائر، فقد رأى المغيلي نفوذهم المالي الذّي جعلهم يتمرّدون على الأحكام الشّرعية بتولية أرباب الشّوكة وهو ما ليس في صالح الإسلام والمسلمين، قال المغيلي: «فكلّ يهودي تعلّق بخدمة سلطان أو وزير أو قاض أو كبير، فقد انتقض عهده، وحلّ ماله ودمه، لأنّ خدمة أرباب الشّوكة مناقض لشروط الذمّة من الصّغار والذلّة»[51]، فدعا بذلك إلى فرض الصّغار على اليهود لقمعهم وأنّ الله لم يرفع السّيف عن رقابهم إلا بشرط إعطاء الجزية والصّغار في قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ [التّوبة: 29]، قال المغيلي: «فإن نحن غالبناهم في دينهم فنحملهم على إخفائه، ودسّ معالمه فهم صاغرون وإن ملكوا القناطير من الذّهب والفضّة، وأنّنا إذا غلبناهم في ذلك غلبناهم على الصّغار في الدّين وغيره، وإن نحن لم نغلبهم على ذلك وكانت شعائر كفرهم قائمة اختل صغارهم بقدر ما أقاموه من دينهم، وإن أعطوا عليه القناطر المقنطرة من الذّهب والفضّة، بل قبول ذلك منهم بعكس الصّغار منهم»[52]، وسار المغيلي رفقة من وافق رأيه من أهل توات إلى قتال اليهود فقاتلهم وأباح دمهم وهدم كنائسهم وجعل الاعتناء بهم أهمّ من الاعتناء بغيرهم من الكفّار[53] وقال لمن كان معه: «من قتل يهوديا فله عليّ سبع مثاقيل»[54].

---

[49] الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصطفى الحكيم، ص176.

[50] الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، السّلاوي، 99/4، 100.

[51] مصباح الأرواح، المغيلي، 43، 44.

[52] المصدر نفسه، ص38.

[53] دوحة النّاشر، الشفشاوني، ص130.

[54] نيل الابتهاج، التنبكتي، ص577.

ولقد شكّلت قضية يهود توات محور اهتمام بالمنطقة في تلك الفترة، ولعلّ موقف المغيلي الصّارم والشّديد في النّكير على اليهود لا يفسّره إلا خطرهم العظيم على الكيان الإسلامي بالمنطقة والذّي تلمّسه الشّيخ ورآه محدقا به لِمَا كان لليهود من نفوذ اقتصادي وسياسي، خاصة مع استحضار ما حصل من أحداث مشابهة بالمغرب الأقصى كما سبق ذكره من أمر السّلطان عبد الحقّ المريني (ت869هـ) والذّي كان اليهود سببا في ثورة النّاس عليه واغتياله وغيرها من الأحداث[55] التّي تفسّر هبّة المغيلي وثورته بتوات.

2.3 فكر المغيلي الدّعوي والإصلاحي في صحراء إفريقيا:

قام المغيلي برحلة طويلة إلى مناطق صحراء إفريقيا وبالأخصّ إلى السّودان الغربي وطاف بعدد من عواصمه وأقاليمه، فزار "كانو" و"كشنة" في شمال نيجيريا و"كاغو" (أو جاو) الواقعة في مالي حاليا، و"تكدّة" من منطقة أهير التّابعة للنيجر حاليا، وغيرها من البلاد الواقعة بين نهري السّنغال والنّيجر[56]، وشهدت صحراء إفريقيا جهود محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ)[57]، حيث اشتغل هناك بالدّعوة والوعظ والتّدريس والقضاء والفتيا وبذل النّصح لأولي الأمر، فترك تراثا فكريا ثريا في فقه السّياسة الشّرعية خطّه نصيحة للأمراء والحاكمين بالمنطقة خصوصا، فأسّس فيه لبناء الدّولة وضبط علاقات أفرادها وواجبات المنتسبين إليها وبيان حقوق الله وحقوق الأمّة في الشّورى والعدل والإنصاف[58]، فعمل على خطّ ما يشبه الوثيقة الدّستوريّة التّي توجّه الحكّام في تسيير شؤون إماراتهم.

---

[55] استقال الإمام علي بن ميمون الغماري (ت917هـ) من منصب قاضي شفشاون ومفتيها بسبب انزعاجه واعتراضه على ما ناله اليهود حينها من حظوة ومكانة عند أمير شفشاون علي بن راشد وحكى ابن عساكر قائلا: "فبينما هو جالس معه ذات يوم، وإذا بيهودي أقبل وأخذ بيد الأمير المذكور وقبّلها، فقال القاضي ابن ميمون: إنّا لله وإنا إليه راجعون، نحن نقبّل يدا تقبلها اليهود!! فأزعجته العناية الرّبانية بسبب ذلك إلى حضرة فاس": دوحة النّاشر، الشّفشاوني، ص28.

[56] نيل الابتهاج، التنبكتي، ص577؛ التّلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي بعض آثاره وأعماله في الجنوب الجزائري وبلاد السّودان، عبد القادر زبادية، ص213، 214.

[57] المصدر نفسه، ص211، 215.

[58] الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصطفى الحكيم، ص184.

هذا ما تظهره مثلا "أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي" المتضمّنة للأجوبة التّي قدّمها إلى حاكم سانغاي الحاج محمد أسقيا والمتمثّلة في كيفيّة التّعامل مع عديد من المسائل الأساسيّة في تسيير أمور المملكة وتنظيم الإمارة[59]، فبيّن فيها أنّ السّلطان راع لا مالك فالملك كلّه لله[60]، ودعاه إلى إبعاد علماء السّوء عن السّلطان ومصالح النّاس فهم يأكلون أموال النّاس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله وينشرون الفساد[61]، مع حظّه على تقريب أهل الذّكر والعلم والتّقوى الذّين أخذوا على عاتقهم مهمّة الدّفاع عن دين الله ودعاه إلى الاستماع لهم والرّجوع إليهم[62]، واتخاذ المحتسب الكريم المتعفّف الذّي لا يقبل الهدايا والرّشاوى مع مراقبة عمله ومن يعينه، فيجعل المغيلي للعلماء المخلصين مكانة رفيعة في التّنظيم الاجتماعي إذ يُلزم الحاكم بطلب مشورتهم وقبول نُصحهم، فالملاحظ دائما أنّ المغيلي يحدّد معيار الكفاءة لأداء مهمّات السّلطة والقيام بتكليفاتها في معيار التّدين الخالص والعلم الشّرعي النّافع والأخلاق الرّفيعة ومراقبة الله تعالى وحده في العمل.

كما لم يغفل عن الدّعوة إلى إصلاح الأوضاع الدّينية بالمنطقة فوجّه دعوة صريحة للأمراء والسّلاطين لطبع الحياة العامّة بطابع الإسلام الذّي يدينون به فأوصى سلطان كانو قائلا: «وامنع جميع أهل بلدك عن جميع أنواع الشّرك وكشف العورات...»[63]، فكان منهج المغيلي في دعوته ذا شقّين أحدهما بأن ساهم بالتّأليف والتّدريس لنشر دعوة الإسلام بين النّاس بالسّودان الغربي والشّق الثّاني بالنّصح لأولي الأمر واستعانته بقوة السّلطان لإقامة تعاليم الإسلام ليكون منهج حياة، وهو بذلك يسلك منهج الأنبياء والرّسل في تغليب الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتّي هي أحسن إن اقتضى الأمر، ومقتديا بأسلافه من العلماء المسلمين[64] الذّي ألّفوا كتبا في نصح الملوك وإرشادهم لأنّ صلاح الحاكم له الوقع الأكبر في صلاح الرّعية.

---

[59] أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، المغيلي، ص6.

[60] المصدر نفسه، ص162.

[61] المصدر نفسه، ص164.

[62] المصدر نفسه، ص165.

[63] مصباح الأرواح، المغيلي، ص74، 75.

[64] مثل الماوردي (ت450هـ) في "الأحكام السّلطانيّة" و"نصيحة للملوك"، والحميدي (ت488هـ) في "الذّهب المسبوك في وعظ الملوك"، والغزالي (ت505هـ) في مؤلّفه "التّبر المسبوك في نصيحة الملوك"، وأبي بكر الطّرطوشي (ت520هـ) في كتابه "سراج الملوك"، وابن الأزرق الأندلسي (899هـ) في "بدائع السّلك في طبائع الملك" وغيرهم.

ويمكن استجلاء فكر المغيلي في فقه السّياسة الشّرعية من خلال رسائله إلى الأمراء، حيث اجتمع بصاحب كانو وكتب له رسالة في أمور السّلطنة يحضّه على اتّباع الشّرع وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وقرّر له أحكام الشّرع وقواعده[65]، وذلك مثل "رسالة في الإمارة"[66] والتّي يمكن من خلالها إيجاز نظرة المغيلي ورؤيته في مسألة الإمامة وتدبير شؤون الحكم في النّقاط التّالية:

– **الإمارة خلافة عن الله تعالى ونيابة عن رسوله ﷺ:** يقول المغيلي: «فإنّ الإمارة من الله، ونيابة عن رسول الله ﷺ، فما أعظم فضلها وما أثقل حملها»[67]، وهذا تنبيه لمن انتصب لها ليدرك عظمة المهمّة المسندة إليه وعظم خطر موقع القيادة الذّي وكّل به فيستعدّ لأداء مسؤولياته كاملة غير منقوصة.

– **إحسان النّية في الإمارة:** فيعتبر المغيلي الإمارة بلوى بين الهوى والتّقوى، فدعا الأمير إلى العدل وتقوى الله وحسن النّية وقال في ذلك: «إن عدل الأمير ذبحته التّقوى بقطع أوداج الهوى، وإن جار ذبحه الهوى بقطع أوداج التّقوى»[68]، فينبّه الأمير إلى الإخلاص في النّية والمقصد وتحرير إرادته من سلطان الهوى وإغراءات المنصب فيقول أيضا: «ليكن عملك كلّه لوجه الله، وذكّر نفسك أنّك واحد من خلق الله، كثير أقوى منك. فليكن طمعك كلّه في الله وخوفك كلّه من الله وهمّك كلّه مصالح خلق الله، ما ولاك الله عليهم لتكون سيّدهم ومولاهم فيما ولاك عليهم لتصلح لهم دينهم ودنياهم»[69]، ومردّ هذا النّصح المربّي للنّفس من المغيلي هو إشفاقه على من ابتلي بالإمارة وما يحيط بها من إغراءات السّلطة والملك، وهو الصّوفي الصّالح المربّي الخبير بمداخل النّفس ومخارجها وأمراضها وأدوائها.

---

[65] نيل الابتهاج، التنبكتي، ص577.

[66] رسالة في الإمارة منشورة ضمن كتاب الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التّلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بأفريقيا الغربية لمبروك مقدم، ص83، 128.

[67] المصدر نفسه، ص84.

[68] المصدر نفسه، 85.

[69] المصدر نفسه، ص88.

_ **التّنظيم الإداري والعسكري:** يقول المغيلي: «على كلّ أمير أن يرتب قطاع مملكته لسكونه وحركيته، على ما يتمكّن له من صلاح رعيّته»[70]. ويعدّد الجهات أو التّنظيمات التّي يجب أن تعيّن في الإمارة ومهامها واختصاصاتها فيعيّن خدّاما بالحضرة يتصرّفون، وعقلاء يشيرون، وأمناء يقبضون ويصرفون، وكتاب وحساب يحفظون، ورُسل وجُساس وحفظة وعُساس وعلماء تقاة يرشدون، وأئمّة فضل يجمعون، وعدول يشهدون، ومحتسبون يكشفون عن الجور ويصلحون، وأرباب شرطة يزجرون، وقضاة ثقات يفصلون، ورجال معظمون لوجه الله، وعمال يحبون حقّ الله، ووزراء لا يخشون إلا الله[71]، بالإضافة إلى إعداد العدة العسكريّة من الحصن المكفي بالخزين وخيل عتيدة قويّة شديدة، ورجال شجعان حاضرة في كلّ أوان وعُدد كثيرة متينة وأطبّاء عارفة أمينة[72].

وبيّن كذلك كيفيّة التّصرف أثناء الحروب وأكّد أنّ احتجاب السّلطان عن الرّعية هو رأس كلّ بليّة.

– **السّياسة المالية:** يقول المغيلي: «إذا كان الأمير عادلا في صرف مال الله، وجب على من بيده شيء منه من زكاة عين أو غيرها أن يدفعه له ليصرفه. وزكاة العين موكولة لأمانة أربابها، فليس لأمير أن يهتك في طلبها أستارهم، ولا أن يفتش ديارهم، ولا أن يحلّف إلا أشرارهم. فمن ادّعى عدم كمال نصابه أو حوله صدق في قوله، كمسافر زعم أنّه قبل قدومه أخذت منه، أو أن عليه دينا يسقط الزّكاة عنه»[73]، فالسّلطان العادل لا يجبي الأموال إلا ممّا أباحه الله ومن بين وجوه المال الحلال الزّكاة بمختلف أموالها، فمن منطلق عدله تعيّن على الرّعية دفع مال زكاتها إليه، ومن الأموال الحرام ما أخذه بظلم مثل ما يُؤخذ على ولاية القضاء أو غيره والعقوبة بالمال والمكس وغيرها من طرق جباية المال الحرام التّي دعا المغيلي الأمير والسّلطان إلى التّنزه عنها.

---

[70] رسالة في الإمارة منشورة ضمن كتاب الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التّلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بأفريقيا الغربية لمبروك مقدم، ص95.

[71] المصدر نفسه، ص95، 98.

[72] المصدر نفسه، ص99.

[73] المصدر نفسه، ص119.

وإلى جانب جهود المغيلي في نشر الإسلام بالسّودان الغربي وجهوده في مجال الإصلاح السّياسي كانت له جهود تربويّة تزكويّة تنمّ عن مشربه السّلوكي فقد كان كما سبق ذكره هو أوّل من نشر الطّريقة الصّوفيّة القادريّة بالسّودان الغربي[74]، وهي أولى الطّرق الصّوفيّة التّي لعبت دورا هاما في غرب إفريقيا إلى جانب الطريقة التّيجانيّة والسّنوسية[75]ولهذا فإنّ الإرث الفكري والإصلاحي للمغيلي بصحراء إفريقيا لا يمكن حصره في كتاباته وأدبياته، وإنّما يضاف إليه حاله التّي اقتدى بها زعماء تلك المنطقة بالسّودان الغربي واتّباعهم لتوجّهه الصّوفي فقد كان له الفضل في سلوكهم للطّريقة القادريّة واقتدائهم بطريقته في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والدّعوة إلى العمل وتأثّرهم بنهجه الإصلاحي، وهو ما يؤكّده الدّكتور عبد الله الألوري من نيجيريا بقوله: «إنّ أفكار المغيلي أدّت إلى تغيّر ملموس في حياة النّاس... لقد ورث (السكوتو) الجهاد عن الشّيخ المغيلي وكان ذلك أحد العناصر الهامّة في تطوّر الإسلام والثّقافة العربيّة ببلاد الهوسا...»[76]، كما تأثّر ملك تنبكتو الحاج محمد أسكيابالمغيلي لدرجة اتّباعه له حتّى في موقفه من اليهود فعُرف هذا الملك بأنّه كان عدوّا لدودا لليهود فلا يريد أن يقطن أحد منهم في مدينته وإذا بلغه أنّ تاجرا من بلاد البربر يخالطهم أو يتاجر معهم قام بمصادرته لأمواله[77]، فقد استطاع المغيلي بسياسته الدّعوية أن يتقرّب من ملوك الإمارات التّي زارها في السّودان الغربي وأن ينال حبّهم وإعجابهم لدرجة أن عيّنه بعضهم مستشارا له وولّاه القضاء والإفتاء، وذلك رغم شخصيّة المغيلي المعروفة بالصّارمة في الحقّ والتّي قد ينفر منها الحكّام والسّلاطين غير العدول، ولكن لحكمة المغيلي التّي قابلتها النّية الحسنة لبناء المملكة وفق شرع الله تعالى عند سلاطين تلك الممالك فإنّهم وضعوا يدهم في يده وطلبوا النّصح والتّوجيه منه في تسيير أمورهم لما رأوه من تبحّر علمه وعظيم أثر دعوته، وقد كان المغيلي على إحاطة تامّة بأحوال السّودان الغربي ولهذا جاءت

---

[74] الإسلام في نيجيريا والشّيخ عثمان بن فوديو الفلاني، آدم عبد الله الآلوري، ص63.

[75] المصدر نفسه، ص62.

[76] مصباح الدّراسات الأدبية في الدّيار النيجيرية،آدم عبد الله الألوري، ص5.

[77] وصف إفريقيا، الوزّان، /1672.

نصائحه وتوجيهاته التّي قدّمها للملوك شاملة للجوانب الدّينية والأحوال الاجتماعيّة والسّياسية للمنطقة.

فكانت للمغيلي جهود دعويّة وإصلاحيّة لنشر الإسلام وتصحيح كثير من المفاهيم المغلوطة بالمنطقة بالإضافة إلى توجيهاته السّياسيّة، وهو ما يرسم لنا الصّورة المشرقة لما وصلت إليه الحضارة الإسلاميّة من ازدهار ورقي خلال القرن التّاسع والعاشر الهجري بالجزائر، والذّي امتدّ أثره إلى المناطق المجاورة لها مثل صحراء إفريقيا وبالأخص في السّودان الغربي، وهو ما تعكسه الإنجازات الدّعوية والإصلاحيّة التّي حقّقها الإمام المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي فخطّت اسمه بحروف من ذهب في تاريخ الجزائر خصوصا وإفريقيا عموما.

خاتمة:

يعتبر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي أحد أشهر الشّخصيات العلميّة بالجزائر وإفريقيا خلال القرن التّاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، فقد ترك أثرا معرفيا وعمليًّا عميقا امتد في الأجيال من بعده، وذلك لما كان له من نشاط دعوي وإصلاحي في الجزائر والسّودان الغربي ومواقف علميّة وسياسيّة صارمة إزاء الأحداث والقضايا التّي عاشتها المنطقة في تلك الفترة.

لعب المغيلي دورا مهمّا للنّهوض بالإصلاح في منطقة توات جنوب صحراء الجزائر، فكانت له حرب بالفكر والسّلاح مع اليهود الذّين قويت شوكتهم بتوات وأرادوا أن يتسيّدوا ويستكبروا، فلم يعدّهم من أهل الذّمة لتعلّقهم بأرباب الشّوكة ورأى جواز هدم كنائسهم التّي بنوها.

اتّسم فكر المغيلي بالأصالة والاجتهاد الفقهيّ في القضايا التّي واجهته، كما يتجلّى ذلك في موقفه من يهود توات، والذّي دلّ أيضا على شخصية المغيلي الجريئة في الحق وفكره الثّوري ضدّ ما يهدد الإسلام في أرضه، مع تقبّله للحوار الفكري بدعوته إلى المناظرة والمناقشة وطلب رأي غيره من العلماء والفقهاء.

انطلق المغيلي من إقليم توات الذّي أصبح مرتكزا لنشر الإسلام بصحراء إفريقيا، بفضل موقعه الاستراتيجي كوسيط بين المغرب الشّمالي والسّودان الصّحراوي. فكان له دور رئيسي في نشر الإسلام بإفريقيا الغربيّة أو السّودان الغربي بفضل سياسته في الإصلاح والدّعوة والتّقرب من السّلاطين، فاستغرق هناك وقتا طويلا للدّعوة والإصلاح الدّيني والتّربوي، وخلف بها تلاميذ ساروا على نهجه ودعوا إلى فكره، حيث كانت له نظرة عميقة لمنهج نشر الإسلام بين الشّعوب الوثنيّة، بالإضافة إلى اجتهاداته في مجال السّياسة وأمور الحكم ونظرته الثّاقبة فيما يتعلّق بطرق تطبيق الأحكام الشّرعية في الإمارات الإسلامية.

تميّز المغيلي بفضل شخصيّته ورؤيته الفكريّة بالحضور العلميّ بين علماء جيلهممّا بوّأه مكانة رفيعة وصنع منه قائدا دينيا مؤثّرا بين قادة عصره، وكان لحركته الإصلاحيّة والدّعوية امتدادات شعبيّة وتأثير ديني وسياسي واجتماعي. وتبقى شخصيّته الفريدة ومشروعه الفكري والتّربوي ورؤيته السّياسية بحاجة لمزيد من البحث والتّبصر العميق لاستجلاء معالم مشروعه الاصلاحي بمختلف مستوياته والاستمداد من أصولها للاستفادة منها لتحقيق نهضة المجتمع والأمّة.

قائمة المصادر والمراجع:

- **المؤلفات:**

1. أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، محمد بن عبد الكريم المغيلي، الجزائر: الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، 1974م.
2. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، السّلاوي، الدّار البيضاء: دار الكتاب، 1418هـ/1997م.
3. الإسلام في نيجيريا والشّيخ عثمان بن فوديو الفلاني، آدم عبد الله الآلوري، القاهرة: دار الكتاب المصري، ط.1، 1435هـ/ 2014م.
4. الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، العبّاس بن إبراهيم السّملالي، الرّباط: المطبعة الملكيّة، ط.2، 1420هـ/1999م.
5. إقليم توات خلال القرنين 18، 19، فرج محمود فرج، الجزائر: المؤسّسة الوطنيّة للكتاب وديوان المطبوعات الجامعيّة، 1977م.
6. الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التّلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلاميّة بأفريقيا الغربيّة، وهران: دار الغرب للنّشر والتّوزيع، دت.
7. البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريم التّلمساني، الجزائر: المطبعة الثّعالبيّة، 1326هـ/1908م.
8. تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر)، عبد الرّحمن بن خلدون، لبنان: دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط.1، 1401هـ/1981م.
9. التّاريخ الثّقافي لإقليم توات من ق11 إلى ق14هـ، الصّديق حاج أحمد، أدرار: مديريّة الثّقافة، ط.1، 2003م.
10. تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك الميلي، الجزائر: المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، دت.
11. درّة الحجال في أسماء الرّجال، أبو العبّاس المكناسي ابن القاضي، عابدين: مطبعة السّنة المحمّدية، ط.1، 1391هـ/1971م.
12. دوحة النّاشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، محمد بن عسكر الشّفشاوني، الرّباط: دار المغرب للتّأليف والتّرجمة والنّشر، ط.2، 1397هـ/1977م.
13. شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكيّة، محمد مخلوف، بيروت: دار الكتب العلميّة، ط.1، 1424هـ/2003م.
14. مصباح الأرواح في أصول الفلاح، عبد الكريم المغيلي، بيروت: دار الكتب العلميّة، ط.1، 1421هـ/2001م.
15. مصباح الدّراسات الأدبيّة في الدّيار النّيجريّة، آدم عبد الله الآلوري، دط، القاهرة: مكتبة وهبة للطّباعة والنّشر، 2012م.
16. معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، لبنان: مؤسّسة نويهض الثّقافية، ط.2، 1400هـ/1980م.
17. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيّة والمغرب، أبو العبّاس الونشريسي، الرّباط: وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينية،1401هـ/1981م.
18. نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، أحمد بابا التّنبكتي، طرابلس: دار الكاتب، ط.2، 2000م.
19. وصف إفريقيا، الحسن الوزّان، لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط.2، 1983م.

- **المقالات**:

20. الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصطفى الحكيم، مجلة المنهل، ع.4، 2017م.

21. التّلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي بعض آثاره وأعماله في الجنوب الجزائري وبلاد السّودان، عبد القادر زبادية، مجلة الأصالة، ع.26.

- **الرّسائل الجامعيّة**:

22. حركة الحاج عمر الفوتي في السّودان الغربي خلال القرن التّاسع عشر، حسين حاجو، رسالة ماجستير معهد التّاريخ جامعة الجزائر، 1994م.

23. محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكريّة بتوات عصره وآثاره، أحمد الأحمدي، رسالة ماجستير في التّاريخ والحضارة الإسلاميّة، كليّة العلوم الإسلاميّة والحضارة الإنسانيّة، 2000/1999م.